دور معهد العلوم اللسانية (جامعة الجزائر) في ترقية اللغة العربية (1964-1986)

د. محمد يحياتن
قسم الترجمة، جامعة الجزائر

1. مقدمة :

ستتناول ورقتي هذه الدور القيم الذي قام به معهد العلوم اللسانية والصوتية سابقا، والذي أصبح اليوم يعرف بـ "مركز الدراسات والأبحاث من أجل ترقية اللغة العربية"، الذي تشرفت بالانتساب إليه ما بين 1979 و1986 في النهوض باللغة العربية في مجالات التعليم والمصطلح والمعالجة الحاسوبية للغة والدراسة الصوتية، إلخ.

تاريخ إنشاء المعهد والمهام الموكلة إليه :

أنشئ المعهد في سنة 1964 وذلك بمرسوم وزاري رقم 30-66 الصادر في 1964/04/11 وقد أوكل إليه إنجاز ما يلي :

"أن يثير وينسق أبحاثا علمية في جميع الظواهر اللسانية وفي مختلف ميادينها كالدراسات الوصفية والصياغة الرياضية للغات وإحصاء المفردات والتراكيب والصوتيات الآلية وتجويد الصوت وعلم الأمراض اللغوية وعلم اللسان التربوي وجغرافية اللغة وغير ذلك"[1].

وهكذا سعى المعهد، غداة بروزه إلى الوجود إلى توفير الثقافة اللسانية وذلك بالتعريف بأحدث ما توصل إليه البحث اللساني في العالم. وقد تمّ له ذلك من خلال نشر المقالات المطولة في صلب المجلة التي كان ولا يزال يصدرها مجلة اللسانيات ، وقد تناولت هذه المقالات تاريخ النظريات اللسانية وتطورها ومفاهيمها الأساس، ابتداء من العصور الموغلة في القدم حتى زماننا هذا.

غير أن المعهد - ممثلا في مديره الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح - لم يذهل عن التراث اللغوي العربي ، فنهض ولا يزال بالتعريف به بإبراز ألطف ما ابتدعه النحاة واللغويون العرب القدامى أمثال الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم.

وينبني مسعى الأستاذ الحاج صالح - ومن ثمّ كل من تحلق حول حلقته المسماة بـ " المدرسة الخليلية الجديدة" على فرضيات ثلاث هي :

أ. إن النحاة العرب القدامى اعتمدوا مفاهيم وتحاليل تختلف اختلافا جوهريا عن تلك التي اعتمدها النحاة المتأخرون.

ب. الفرضية الثانية تزعم بأن هذه المفاهيم والتحاليل لا تقلّ أهمية وشأنا عن تلك التي تمخّض عنها العلم في عصرنا هذا.

---

1. أنظر مجلة اللسانيات، المجلد الأول، الجزء الأول، 197، ص 50-53.

ت. أما الفرضية الثالثة فتحاول الإبانة على أن هـذه المفـاهيم والتحاليل تنطوي على قيمة استكشافية heuristique تضارع تلـك التـي تتوفر عليها اللسانيات الغربية الحديثة[1].

وفضلا عن هذا وقبل هذا فإن جهود هذه المدرسة ترمي إلى إزالـة الغبن الذي لحق بالتراث اللغوي العربي الذي تجاهلته الكتب والمصنفات التي أرخت للدراسات اللغوية البشرية.

هذا ولمّا كانت مجلة اللسانيات (ومن ورائها المعهد) قـد اختطـت لنفسها وجهة معينة قوامها ربط البحث اللساني الأساسي ـ أي النظـري ـ بالتطبيق فإنها قد أولت اللسانيات التطبيقية عناية هامة، الأمر الذي جعلها تخصص جزءا كبيرا من صفحاتها لإبراز ما توصلت إليه من مكتسـبات في حقل تعليمية اللغات بوجه خاص وذلك بقصد استثمارها فـي تعلـيم العربية لأهلها أو لغير الناطقين بها.

1. المشاريع العلمية اللغوية :

أ) الرصيد اللغوي المغاربي:

في سنة 1967، دعا وزراء التربية المغاربيون إلى ضبط سياسة تربويـة موحدة تتمثل في وضع رصيد لغوي وظيفي لتلاميذ الطور الأول من التعلـيم الابتدائي. والمقصود بالرصيد اللغوي العربي الوظيفي Arabe fonctionnel هو قائمة بالألفاظ اللغوية العربية التي يحتاج إليها التلميذ المغاربي في هـذا الطور من التعليم ليؤدي أغراضه التبليغية. وبعبارة أخرى هو مجموعـة

1. أنظر رسالة الدكتوراه للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح الموسومة :

Linguistique arabe et linguistique générale : Essai d'epistémologie et de méthodologie du 'ilm al'arabiyya, thèse de doctorat d'état, 2 tomes, Paris IV, 1979.

من المفردات الوظيفية التي تساعده على تبليغ ما يريد من أفكار وأحاسيس وكذا التعبير عمّا جدّ من مفاهيم حضارية يعجز في أحيان كثيرة أن يجد لها مقابلا في العربية. وكان همّ واضعي هذا الرصيد أيضا تقريب الفصحى من العامية وذلك بتبني العديد من الألفاظ العامية التي لها أصل فصيح.

وقد أوكل هؤلاء الوزراء مهمة إنجازه إلى ثلاث مؤسسات هي:

– معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط.

– قسم اللسانيات أو الألسنية التابع لمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، جامعة تونس.

– معهد العلوم اللسانية والصوتية، بجامعة الجزائر.

ولتحقيق هذا المشروع، عمدت المؤسسات المذكورة إلى منهجية عمل حصيفة تتمثل في :

أ. الوقوف على ما هو متداول في الكتب المدرسية المعتمدة في التعليم بقصد حصر النقائص وسدّ الفراغات لاسيما بالنسبة للمفاهيم الحديثة التي لا نجد لها ألفاظا عربية تدلّ عليها.

ب. الوقوف على ما يدور على ألسنة الأطفال من كلام ومفردات وكذلك الأمر بالنسبة لما يكتبون للنظر فيما تمثلوه وما ينبغي تزويدهم به ليثروا زادهم اللغوي، كما أن هناك غاية أخرى هي السعي إلى توحيد الأرصدة اللغوية المستعملة في هذه الأقطار.

ت. بعد الفراغ من هذه الأعمال التي تكفل معهد العلوم اللسانية بتنسيقها وجردها تمّ استخلاص الرصيد اللغوي الوظيفي.

أ) الرصيد اللغوي العربي (1976 – 1986) :

لكن سرعان ما أصبح هذا المشروع مشروعا قوميا وذلك عندما أقدمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على تبنيه وتعميمه على كلّ البلدان العربية. وفضلا عن هذا رأت المنظمة وضع رصيد لغوي لكل سنوات المرحلة الابتدائية، ويعرّف الرصيد كالتالي: "هو مجموعة من المفردات والتراكيب العربية الفصيحة أو الجارية على قياس كلام العرب التي يحتاج إليها التلميذ في مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي حتى يتسنى له التعبير عن الأغراض والمعاني العادية التي تجري في التخاطب اليومي من ناحية، ومن ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلية الأساسية التي يجب أن يتعلمها في هذه المرحلة من التعليم".

ما هي المبادئ المنهجية التي انبنى عليها المشروع؟

1. ضرورة الرجوع إلى الواقع الذي يعيشه المتعلم في وسطه واستقراء المواد التي يتلقاها.

2. الاعتماد على أنواع ثلاثة من المعطيات: ما يقرأه المتعلم في الكتب المقررة وما يكتبه في كتاباته وما يسمعه في محيطه وما ينطق به هو نفسه.

3. ضرورة الاعتماد على عدد من المقاييس العلمية والمعطيات الموضوعية لحصر هذه المعلومات وتحليلها ثمّ تقويمها وضبط الرصيد الوظيفي في نهاية المطاف.

أما بالنسبة لاستخلاص الرصيد ، فلا بدّ من :

– الاعتماد على شبكة من المفاهيم العالمية: أي تلك التي يشترك في معرفتها أكثر الأطفال العرب وكذا المفاهيم التي يتفق في معرفتها الأطفال العرب وغيرهم.

– تغطية جميع المفاهيم التي ليس لها لفظ عربي فصيح يدلّ عليها.

والجدير بالذكر أنه قد تمّت بمعهد العلوم اللسانية المعالجة الحاسوبية لكل هذه المعطيات. كما تمّ إقرار الرصيد اللغوي العربي في اجتماع علمي بتونس في سنة 1986، حيث نظر الباحثون العرب في الحصيلة لفظا لفظا وأقروا ما رأوه جديرا أن يكون من صلب هذا الرصيد .

ب) مشروع الذخيرة اللغوية العربية : Thésaurus de la langue arabe

المقصود بالذخيرة اللغوية العربية هو عبارة عن قاموس جامع للألفاظ العربية التي استعملت منذ القديم إلى غاية أيامنا هذه. ويعتمد في وضعه على المعالجة الحاسوبية. وفوائد هذا القاموس يمكن حصرها في النقطتين التاليتين :

– حصر كل ما جاء في المعاجم اللغوية العربية وكذا كل ما ورد في أمهات الكتب القديمة والحديثة (بما فيها المصطلحات) والآثار الأدبية والرسائل وغيرها.

– وهذا العمل الضخم من شأنه أن يساعد الباحث الراصد لتطور اللغة من إثبات تاريخ كل كلمة عبر الزمان وتطور معانيها. ثمّ بالنسبة إلى المصطلحات فإن هذا العمل قد يساعد الباحث على إيجاد اللفظ العربي المناسب الذي يؤدي هذا المفهوم أو ذاك.

أما من حيث الصورة أو الصور التي سيكون عليها هذا القاموس الجامع، فهي كالتالي :

- الترتيب الأبجدي العام (الانطلاق من اللفظ).
- الترتيب بحسب المجالات المفهومية (الانطلاق من المفهوم).
- الترتيب بحسب العلوم والفنون.
- الترتيب بحسب شيوع الكلمة (عدد المرات التي ظهرت فيها في النصوص).

إن هذا المشروع لا يزال جاريا اليوم في كنف مركز الدراسات والأبحاث من أجل ترقية اللغة العربية وهي التسمية الجديدة التي أطلقت على هذه المؤسسة. وقد عولجت العديد من المعطيات النصية من شعر وفلسفة وتاريخ...

د) وضع طريقة لتعليم العربية لأساتذة الجامعة ذوي التكوين المفرنس

هناك فريق من الباحثين المنتسبين للمعهد عكفوا على وضع طريقة جديدة لتعليم العربية لجمهور من الأساتذة الجامعيين ممن يرغبون في تدريس تخصصاتهم بالعربية (لاسيما بعد تعريب العلوم الإنسانية والاجتماعية في 1980). وقد أطلق هذا الفريق تسمية " اللغة العربية لغة سهلة ووظيفية" على طريقته هذه. واعتمد في ذلك على أحدث ما توصلت إليه تعليمية اللغات ونعني بذلك : التناول التبليغي للغة Approche communicative ومن بين الأسس التي تقوم عليها :

- التركيز على المتعلم (استكشاف خصائصه، مؤهلاته، التعرف على مكتسباته اللغوية السابقة والحاجات التي يتوسلها من إتقان اللغة التي يريد تعلمها).

– التركيز فيما يتعلق بالزاد اللغوي الذي يراد تلقينه على ما يفيد المتعلم في مهنته على سبيل المثال :

– ربط الملكة الشفاهية بالملكة الكتابية.

هذا ويمكن القول بأن هذه الطريقة قد لقيت قبولا واستحسانا لدى المتعلمين الذين طبقت عليهم.

ذ) التكوين في الدراسات العليا (الماجستير)

يمكن القول بأن سنة 1980 بأنها تاريخ مميز في حياة المعهد. ذلك أنه في هذه السنة تمّ إنشاء " دبلوم الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي" :

Magister en sciences du langage et de la communication linguistique

وتدوم الدراسة – لغرض الحصول على هذه الشهادة – سنتين يحضر الطالب بعد السنة الأولى مذكرة في فرع من فروع علوم اللسان وهي :

– الصوتيات التطبيقية.

– الإلكترونيك الصوتي والفيزيولوجي للكلام.

– العلاج الصوري للغة والمعلوماتية اللسانية.

– علم أمراض الكلام : أ) السمعي الصوتي.

ب) علم اللسان العيادي والأفازيولوجيا

– علم اللسان التفاضلي.

– صناعة المعاجم وإحصاء المفردات.

– علم تحقيق المخطوطات.

– اللسانيات التعليمية.

وقد تخرّج إلى حدّ الآن عدد لا يستهان به من الطلبة، منهم من باشر التدريس في الجامعة ومنهم من آثر التفرغ للبحث اللغوي في المعهد. أما الأبحاث التي أنجزت بغرض الحصول على شهادة الماجستير فهي متنوعة وذات بال، يمكن أن نذكر منها :

– معالجة حاسوبية للجزء الأول من القرآن الكريم : دراسة معجمية آلية.

– دراسة الصوامت العربية بواسطة المطياف.

– اللغة المنطوقة والمكتوبة لدى عينة من المثقفين الجزائريين: دراسة مقارنة.

– دراسة تحليلية لسانية للمصطلحات التقنية المعتمدة في التدريس في مراكز التكوين المهني، والمتعلقة بالكهرباء وميكانيكا السيارات.

– دراسة راديو سينماتوغرافية لبعض الحروف العربية.

– النحو التفريعي التحويلي : دراسة وترجمة.

– مصطلحات الرياضيات المستعملة في الكتب المدرسية في البلدان المغاربية الثلاث : دراسة تحليلية إحصائية...

تجدر الإشارة إلى أن المعهد لا يزال يواصل مهامه بعد أن تحول إلى مركز للأبحاث من أجل ترقية اللغة العربية. ومن الأعمال التي تنجز الآن في كنفه نشير سريعا إلى مواصلة إنجاز مشروع الذخيرة اللغوية العربية علما بأن العديد من البلدان العربية قد تبنت المشروع وتريد المساهمة فيه. كما نشير إلى فريق آخر يعمل الآن على إنجاز طرائق جديدة لتعليم العربية للكبار من الجزائريين وغيرهم فضلا عن الفريق الذي يعنى بصناعة المعاجم.